الغش في المجال المدرسي

◆احميدة العوني

تقديم

لا أحد يجهل، اليوم، أنّ التعليم بالمغرب في أزمة، لكن بوادرها قديمة، فقد تحدثت مجلة البيان منذ عشرين سنة عنها، بل عدت تعليم خمسينات القرن الماضي أحسن من تعليم ثمانينياته، فقد أعلنت سنة تسع وثمانين وتسع مائة وألف(1989م) «أن نوعية التعليم قبل أربعين سنة كانت أفضل مما هي عليه الآن – وهذه قضية لا يختلف عليها أحد – صحيح أن تقدماً حصل من الناحية العددية ، ولكنه تقدم سطحي ، وتمدد أفقي على حساب العمق والجودة»[1].

ومن أبرز مظاهر هذه الأزمة الهبوط المستمر لمستوى المتعلم المغربي، الذي أصبح حقيقة وطنية ودولية، خاصة بعد تقريري البنك الدولي عن التعليم ببلدان شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وتقرير المجلس الأعلى للتعليم سنة 2008، و«لعلّه لم يسبق أن اتفقت هيآت دولية وأخرى وطنية رسمية ومدنية على الحكم بفشل إصلاحات نظام التربية والتكوين بالمغرب وتردي مستواه مثل ما حدث هذه السنة (2008)، فقد أدرج تقرير البنك الدولي التعليم المغربي في رتبة متأخرة[2]. ثمّ أصدر المجلس الأعلى للتعليم تقريره فلم يملك إلا أن يقر بوجود ما أسماه «تعثرات حقيقية»، فنسبة

كبيرة من المتعلمين يتسربون من المدرسة دون مؤهلات...لكن أبرز تلك التعثرات هي رداءة التعلمات الأساسية»[3].

و لهبوط مستوى المتعلم المغربي أسباب شتى، منها غياب الرغبة، بسبب انسداد الآفاق، والاكتظاظ، وإنجاح من لا يستحق النجاح... و تفشي الغش، إذ لم يعد محصورا في حالات معدودة، بل أصبح ظاهرة تعليمية خطيرة، ولن ينكر عاقل أنه لن ينهض التعليم ببلادنا مهما توالت الإصلاحات إذا لم يعالج مرض الغش. وسيحاول هذا المقال أن يتحدث عن بعض الأسباب الحقيقية لتفشي ظاهرة الغش في المدرسة، كما سيسعى إلى بيان أخطارها، ثم سينتهي بوجهة نظر حول علاج هذه الآفة .

مفهوم الغش

جاء في لسان العرب « (غشش) : الغِشُّ: نقيض النصح وهو مأخوذ من الغَشَشِ : المَشْرِب الكَدِر...وفي الحديث: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: ليس منّا من غشنا؛ قال أبو عبيدة: معناه ليس من أخلاقنا الغش..وقد غَشَّهُ يَغُشُّهُ غشًّا: لم يمْحَضْهُ النصيحةَ...وغَشَّ صدرُه يغِشُّ: غَلَّ»[4]

و«غشه لم يمحضه النصح، أو أظهر له خلاف ما أضمره كغششه. والغش بالكسر الاسم منه، والغِلُّ والحقد... واغتشه واستغشه، ضد انتصحه واستنصحه، أو ظن به الغش»[5]

الغش لغة، ضد النصح والإخلاص، أي الغش هو نفاق وكذب، ومفهوم الغش المدرسي اصطلاحا لا يختلف عن مفهومه لغة، إذ هو استعمال المتعلم لوسائل غير مشروعة، للجواب على أسئلة الفرض المحروس أو الامتحان، فهو كذب وسرقة، ومن ثم فالغش المدرسي تزييف لنتائج التقييم.

أسباب الغش المدرسي:

تساهل المدرس في الحراسة في الفرض والامتحان:

إنّ المدرس حينما لا يحرس المتعلمين أثناء إنجاز الفرض يشجعهم على الغش، فأي تهاون في الحراسة يعد تشجيعا للغش، فالجلوس في المكتب أو مكان آخر طيلة الإنجاز، أو الدخول والخروج من القاعة ولو أمام الباب، أو قراءةٌ أو كتابةٌ تقصيرٌ وتشجيع واضح للغش بقصد أو بغير قصد. إنّ المتعلم لقادر في رمشة عين على الغش، لذلك نجده حريصا أشد الحرص على اقتناص لحظة غفلة المراقب ليخرج ورقة من أحد جيوبه أو أن ينفذ خطة من خطط الغش المتطورة[6].

إنّ التهاون في الحراسة من أهم دوافع الغش، بل إنه تشجيع صريح على الغش. ويُرْجِعُ يوسف عياشي تنامي ظاهرة الغش إلى ثمانية أمور وهي:

«1- تعدد المواد الدراسية وكثرتها مما يستحيل معه إعطاء الوقت والأهمية لكل مادة على حدة.

1 - طبيعة المقررات الدراسية التي تركز على الكم عوض الكيف، والسرد بدل الفهم.

2 - طول البرامج وكثرة الدروس مما لا يتيح إمكانية شرحها بالشكل المرجو.

3 - عدم إتاحة الفرصة للتلاميذ قصد الاستعداد بما فيه الكفاية للامتحان.

4 - الدعاية لجدوى وفائدة الغش والترويج للشعار الذي أصبح سائدا ومتداولا بين التلاميذ" من نقل انتقل ومن اعتمد على نفسه بقي في قسمه".

5 - الإحباط الذي قد يصاب به بعض التلاميذ المجدين عندما يحصلون على معدلات تقل عن زملاء لهم ضعيفي المستوى.

6 - غياب هامش التدخل لدى الأستاذ والذي يفاجأ بدوره بالمفارقة السابقة ولا يملك حولا ولا قوة للتصرف وإعادة الأمور إلى نصابها.

7 - التناقض الصارخ بين نقط المراقبة المستمرة ونقط الامتحان مما يؤكد وجود خلل في النظام التقويمي الحالي"[7].

لعل يوسف عياشي يعرف حق المعرفة أن هذه الدوافع وحدها لا تشجع الغش، إذ لولا التهاون في الحراسة، لما استفحلت ظاهرة الغش، حتى غدت في أيامنا هذه أمرا عاديا طبيعيا، بل حقا من حقوق المتعلم يطالب به، ويدافع عنه حتى بالسلاح الأبيض أيام الامتحانات، لكن ربما لم يذكر يوسف عياشي هذا الدافع احتراما للمدرسين. ومع احترامنا الكامل لهم فإنه لا يسعنا إلاّ أن نقول إنّ من السهل جدا أن نخفّف، إن لم نقل أن نقضي على الغش، بالقيام بواجب الحراسة.

ومسألة الكم والكيف لا ترتبط دائما بطبيعة المقررات وعامل الزمن، بل ترتبط أحيانا كثيرة بطريقة التدريس، التي ما زالت تعتمد التحفيظ، وكذلك بنوعية الأسئلة التي تطرح سواء في الفرض أم الامتحان. كما ترتبط بإهمال وتقصير المتعلم. أما مسألة طول المقرر وكثرة المواد فأثرها محدود، ويمكن مقاومته بتنظيم المراجعة والاهتمام والانتباه منذ بداية الفصل الدراسي. إننا مهما صغّرنا المقررات الدراسية وطوّلنا زمن شرح الدروس وطرحنا أسئلة فهم لا حفظ ومهما بالغنا في التحسيس بأضرار الغش... لن نقضي على الغش إذا لم نحرص على حراسة التلاميذ في الفرض والامتحان، لأن النفس البشرية أمارة بالسوء، وهي ميالة إلى تحقيق أغراضها بأسهل الطرق، وأقصرها، فالمتعلمون ليسوا ملائكة، لكي لا تميل بهم

أنفسهم إلى اتباع طريق غير سوي لتحقيق "النجاح".

وعليه، فإني أظن أنّ السبب الحقيقي في انتشار ظاهرة الغش، هو تساهل بعض المدرسين في الحراسة، بل مساهمتهم في بث خلق الغش في نفوس المتعلمين، بطريقة مباشرة – ترك الحبل على الغارب[8] في الحراسة- أو بطريقة مباشرة، وذلك بإملاء الأجوبة، كلها أو بعضها، في الفرض أو الامتحان، إما شفويا أو كتابة على السبورة، خاصة في التعليم الابتدائي.

إنّ ظاهرة الغش، مع الأسف الكامل، صارت معروفة عند العامة والخاصة، لا يستثنى في ذلك أي مستوى تعليمي، من الابتدائي إلى الجامعي. و قد ذكر مصطفى الغشاشون، باعترافهم، يمثلون 92%»[9]، وهذه النسبة لها دلالة أخرى مهمة وهي أن هناك فعلا تقصيرا كبيرا في الحراسة. فاعتراف 92% من المتعلمين المستجوبين، تعني اعترافهم أيضا بأن مدرسيهم متسامحين في الحراسة. وإلاّ فكيف تَمكَّن هؤلاء المتعلمون من الغش لولا تسامح وتهاون الحرّاس في الحراسة؟؟

وقد أقرّ المدرسون بعضهم (18.30%) في استبيان حول الغش - رغم أن السؤال كان مُحْرِجًا- أنهم يتساهلون في الغش، وهذه النسبة لا أحسب أنها تعكس الحقيقة، وحتى إن كانت حقيقية فهي مؤشر قوي على أنّ هناك تساهلا في الحراسة، لأسباب معينة (انظر الجدول أسفله)[10].

السؤال	نعم	لا
1- هل الغش ظاهرة متفشية في التعليم؟	95.77	4.22
2- هل ضبطتم حالات غش؟	84.50	15.49
3- هل سبق لكم أن منحتم صفرا لمن غشّ؟	47.88	52.11
4- هل منح الصفر للغاش يحُدُّ من الغش؟	35.21	64.78
5- هل تتساهل في الحراسة؟	18.30	81.69
6- لماذا يتساهل المدرس في الحراسة؟ (اختر جوابا واحدا مهما بوضع علامة أمامه).		
* لتفادي المشاكل مع المتعلمين وغيرهم.		22.53
* لعدم تكافؤ الفرص في الوطن (تساهل البعض وتشدّد الآخرين في الحراسة).		43.66
* اللامبالاة وعدم تقدير مسؤولية الحراسة.		16.90
* بلا جواب		16.90

بنان أن من أهم أسباب رداءة التعليم عندنا «اللجوء للغش في الامتحانات؛ فالتلاميذ

لماذا يتساهل المدرّس في الحراسة؟

يبين الجدول أعلاه أن أغلب المدرسين

في الثانوي الإعدادي والتأهيلي يتساهلون في الحراسة، لعدم تكافؤ الفرص (43.66%)، ثم لتفادي المشاكل مع المتعلمين وغيرهم (16.90%) ولعدم تقدير المسؤولية واللامبالاة(16.90%)، وأرى أنّ السبب الأول مسوغ فقط لتبرير تقصير في واجب مهني وأخلاقي، فلماذا نتّهم الآخرين بالتقصير في الحراسة، ونفعل مثل ما يفعلون!! هل ننتظر حتى يصلي الناس كلهم كي نصلي!!!

فالمدرس يتهاون في الحراسة إما لتفادي المشاكل مع المتعلمين ولعدم تقدير مسؤولية الحراسة، أو للتغطية على خلل ما، (هبوط مستوى المتعلمين، وعدم رغبتهم في التعلم، أو لخلل في إنجاز الدروس على أحسن وجه...)، ويتساهل المدرس في الحراسة حبا للتباهي ورغبة في المدح والثناء، بأن يقال إنّ تلاميذ الأستاذ الفلاني أو المؤسسة الفلانية قد حصلوا على أعلى النقط، وأعلى نسبة في النجاح.

فبعض المدرسين يسعون إلى أن تكون نسبة النجاح عندهم أكبر من الفرعية الأخرى، ولو منعوا الغش لكانت النسبة مخيبة وستثير مشاكل، فالسكان سيغضبون لأن تلاميذهم لم ينجحوا، وهذا قد يعني أنّ المدرسين لم يؤدوا مهمتهم كما ينبغي، والمدير سيغضب إذا كانت نسبة النجاح ضعيفة... تجنبا لهذه المشاكل لا بد من مساعدة المتعلمين في الامتحان، إنّ الغش هنا انبطاح ونفاق وغطاء لتقصير في الأيام الطوال، لهذه الأسباب فهم يرون أنهم سيظلمون المتعلمين الذين تولوا حراستهم إذا لم يساعدوهم، فكيف يعقل ألا يسمح بالغش وألا يُساعدَ المتعلمون بكتابة الأجوبة على السبورة - تجنبا للأخطاء الإملائية، أو لعدم تمكن المتعلمين من كفاية الكتابة- وهم متأكدون أن الغشَّ قاعدة ومنْعَه هو الاستثناء!!! ومن هنا فإذا مُنِع الغش في الامتحان، وطرحت أسئلة حقيقية تقيس مدى استيعاب المتعلم ما درسه يحدث ذلك التناقض الصارخ بين نقط المراقبة المستمرة ونقط الامتحان، ويحدث التناقض نفسه كذلك إذا وقع العكس، أي إذا منع الغش في المراقبة وسمح به في الامتحان.

صحيح هناك ضغوطات ضمنية، فالنيابة لا يروقها أن تكون نسبة الخاسرين تشتيتا وخلطا لأوراق الخرائط المدرسية، ولهذا فالمدير لن يروقه الخسران الكبير، فهذا سيخلط أوراق بنية المؤسسة، وهنا نقول لماذا نرسم خرائط ونوّطن عليها معطيات عنوة؟ لماذا لا ننطلق من المعطيات لرسم الخرائط. هناك من المدرسين من يجاري هذا الواقع المغشوش فيعمد إلى «نفخ» النقط، بالتساهل في الحراسة، وتسهيل الفرض...فمادام المتعلمون ناجحين تلبية للبنية والخرائط فالأحسن أن أرفع النقط!!

هكذا نجد بونا شاسعا بين نقط المتعلم ومستواه الحقيقي، وهذا كذب ونفاق وغش للذات وللآخر، لماذا نخفي الحقيقة بالكذب على المتعلم والناس؟ لماذا لا نصارحه والناس بحقيقة مستواه؟ إننا لا نبغي تغيير الخرائط المدرسية ولا بنية المؤسسة، لكن نريد الصراحة والصدق، ولا أظن المدير ولا النيابة سيلزم المدرس بتزوير واقع المتعلم بأي شكل من الأشكال، إننا نلوم المدرس الذي لا تعبر نقطه عن المستوى الحقيقي للمتعلمين، ولا نرى أن هناك أي مبرر يجوّز له تزوير مستوى المتعلمين.

التساهل في معاقبة الغشاش:

لا يكفي أن نحرس المتعلمين ونمعهم من الغش، كي لا يعتمدوا على الغش في الإعداد للفرض والامتحان، فالمتعلم "ذكي"، يتعامل بمنطق الربح والخسارة في مسألة الغش، فإذا كان المدرس يكتفي بمنع الغش، بتجريد الغشاش من وسائل الغش، فإن الغشاش لن يقلع عن الغش، بل سيظل يجرّب حظه في الغش، لأنه لن يخسر شيئا، فإن نجحت العملية فقد استفاد، وإن لم تنجح فلن يخسر شيئا، لأن المدرس سيتركه يتابع الفرض، ولن يمنحه صفرا، ولن يحرّر في حقه تقريرا...ولذلك فالغشاشون ينسخون نسخا كثيرة لورقة غش واحدة تحسبا لحجزها من الحارس...

تهاون التلميذ في المراجعة وفي الانتباه داخل القسم.

تهاون أغلب التلاميذ في المراجعة من بين الأسباب الحقيقية لتفشي ظاهرة الغش، إذ يلجأ المتعلم للغش المباح في المدرسة، لأنه أسهل وأقصر طريق لتحقيق " النجاح"، فهو ينفق وقته في إعداد وسائل كثيرة للغش، مستغلا التطور الهائل لوسائل الاتصال، ولوسائل النسخ، التي تسعفه على تصغير مقررات في وريقات دقيقة...وإذا لم يُجَدِ الغش بهذه الطرق فهو يلجأ إلى التزود من أصدقائه في القسم، خاصة من المجتهدين.

وقد اعترف المتعلمون الأدبيون والعلميون الذين يتابعون دراستهم في ثانوية تأهيلية بالمغرب أن عدم المراجعة هو السبب الأول للغش. (الجدولان أسفله)[11]. لكن لا يمكن الاطمئنان إلى هذه النتيجة لأن التساهل في الحراسة هو نواة هذه الأسباب، إذ لو علم المتعلم أن المدرّس لن يسمح له بالغش لأعدّ العدة للفرض والامتحان، بما في ذلك المراجعة خارج القسم، والانتباه داخله.

- نتائج الاستمارة الخاصة بالمتعلمين الأدبيين حول سؤال: اختر ثلاثة من أسباب الغش، ورتبها حسب أهميتها بوضع رقم 1 و2 و3 أمام الاختيار.

- نتائج الاستمارة الخاصة بالمتعلمين العلميين:

الاختيار حسب الأولوية	النسبة المائوية
1- تهاون التلميذ في المراجعة	22.85%
2-صعوبة الفرض/ الامتحان	20.71%
3- غياب الثقة في النفس عند المتعلم	19.73%
4- عدم الانتباه عند شرح الدرس	18.09%
5- تساهل الأستاذ في الحراسة	10.95%
6- التساهل في معاقبة الغشاش.	7.61%

- **نتائج الاستمارة الخاصة بالمتعلمين العلميين:**

الاختيار حسب الأولوية	النسبة المائوية
1- تهاون التلميذ في المراجعة	25.11%
2-غياب الثقة في النفس عند المتعلم	24.66%
3-عدم الانتباه عند شرح الدرس	17.77%
4-صعوبة الفرض/ الامتحان	16.44%
5- تساهل الأستاذ في الحراسة	7.77%
6- التساهل في معاقبة الغشاش.	7.77%

أخطار الغش:

المراقبة المستمرة والامتحان وسيلتان لتقييم عمل المتعلم، ولا قيمة لعمل لا يقيم. وهما دافعان أساسيان للتعلم عند المتعلم، فلا يمكن الحديث عن تعلم بدون تقييم. لإن المتعلم مهما كان وحيثما كان يعتبر الفرض والامتحان ميزانا يقيس جهده ومستواه، ومن ثم فهما وسيلتان تكشفان المستوى الحقيقي للمتعلم، أي أنهما وخاصة الفرض، وسيلة لكشف الخلل وهذه هي الخطوة الأولى للتصحيح والتقويم قبل فوات الأوان. كما أنهما بمثابة تاج يوضع على رأس المتفوقين خاصة، ومن ثم فهما دافعان للمنافسة ومشجعان على المثابرة والمواظبة في الاجتهاد. لكن هل الفرض والامتحان اليومَ - والغش متفش- يحقق هذه الأهداف؟ هل الفرض- والغش منتشر- ميزان عادل يعدل بين المتعلمين ويميز المجتهدين من غير المجتهدين؟ هل الفرض المحروس – الذي لا يُحْرَسُ- يقيس المستوى الحقيقي للمتعلم؟ هل الفرض والامتحان – في ظل انتشار الغش- مازالا تاجين يزينان هامة المجتهدين؟

نزع الثقة من نفس المتعلم

الغش خطر على المتعلمين جميعهم، فالمتعثر لن يقوم ذاته بالوسائل الصحيحة المشروعة، ليس في حاجة إلى أن ينتبه ويسهر الليالي، الكتابُ يعفيه والدفتر والصديق. وكذلك متوسط الحال سيختار الغش والنقل المباح، وكذلك المجتهد سيفعل. وهو «يعلم» أنه» من نقل انتقل ومن اعتمد على نفسه بقي في قسمه»، لا ينبت الغش في قلب المتعلم سوى التهاون والكسل والاتكال وفقدان الثقة في النفس، إذ لا يمكن للمتعلم أن يعتمد على نفسه ويثق في قدراته ومهاراته، وهو يرى بأم عينيه أصدقاءه يغشون، من طبيعة الحال يعرف أنّ الكتاب أعلم منه ولا يمسه النسيان

أو السهو، وهو يعلم كذلك أنّ العمل الجماعي أحسن من الفردي، لهذه الاعتبارات سيختار الطريق المعوجّ للوصول، فكم من مجتهد معتمد على نفسه تعثر! وكم من غشاش نال الدرجة الأولى! حينما يتعوّد المتعلم الغش يفقد الثقة في قدراته وذكائه وإعداده فلا تطمئن نفسه إلا للغش.

ولعلّ هذا ما يفسّر اعتبار المتعلمين المشاركين في الاستمارة السابقة غياب الثقة في النفس من بين الأسباب الأولى للغش، فالمتعلم حين يجد نفسه في وسط يسمح بالغش، يفقد الثقة في نفسه، حتى وإن انتبه وراجع دروسه.

زرع خلق الكسل والتهاون في نفسية المتعلم.

إنّ التهاون في المراقبة والحراسة وبَالٌ على التعليم ببلادنا، أي درس نقدم حينما نسمح بالغش أو نتهاون في الحراسة؟ أي خلق نبث في المتعلم ونحن نغض أبصارنا عن الغش؟ ما أقبحَ هذا السلوك وما أخطرَه! إنّ السماح بالغش ساعة الفرض أو الامتحان دعوة إلى التهاون والكسل والخمول طيلة أيام الدراسة، فالتلميذ ليس «غبيا» كي يُتْعِب نفسه في الانتباه والمراجعة والمدرس لن يراقبه في الفرض والامتحان، سيلجأ إلى الغش من الكتاب أو الدفتر أو سيطلب الإمدادات من الآخرين. وحينما يثق المتعلم أن «النّجاح» مضمون بواسطة التساهل في الحراسة، سينشغل بأشياء أخرى لا علاقة لها بالتعلم في القسم، وبهذا يفسّر تنامي ظاهرة عدم الانضباط داخل القسم.

بث جو الظلم بين المتعلمين.

بالغش نجعل المجتهد والمتهاون سواسية، ومن ثم نثبط العزائم وننشر ظلال الظلم على المجتهدين خاصة، فما قيمة هذا الفرض الذي لا يعطي لكل ذي حق حقه؟ وأي خيبة وأي حسرة ستخيم على من تعب وجدّ واجتهد وبحث وسهر وهو يرى الغشاش قد نال النقطة نفسها أو أحسن منها؟ وفرحة الغشاش فرحة مزورة لأن النقطة مزورة ، فهي في الحقيقة ظلم له من حيث لا يدري، إذ سيكتشف حين ينتهي به المطاف أن المدرسين الذين سمحوا له بالغش ظلموه، بحيث لم يساعدوه على تكوين ذاته تكوينا حقيقيا.

زرع خلق خيانة الأمانة.

إنّ التغاضي عن الغش في الفرض أو الامتحان تشجيع وتكريس للأخلاق الذميمة التي ينهى عنها الشرع والقانون، إنّ السماح بالغش معناه تدريب المتعلم على خيانة الأمانة والسرقة حين يتولى المسؤولية في وطنه، « ومن المعلوم، بداهة، أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وإن لم يتعود الأمانة وأداء الحقوق...فإن

الولد- لا شك- سيدرج على الغش والسرقة والخيانة، وأكل الأموال بغير حق...»[12].

علاج الغش

تحسيس المتعلم بأخطار الغش وزرع الثقة في نفسه.

لا شك أنّ المتعلم اليوم فقد الثقة في نفسه، نظرا لتفشي ظاهرة الغش، لذا فإن أوّل خطوة للعلاج هي تحسيس المتعلمين بأخطار الغش، فإذا اقتنع المتعلم أن الغش يفقد الثقة في نفسه، وأنه بإمكانه أن يحصل على نقطة حسنة إذا وثق في نفسه، وقدراته، وإذا اقتنع أن الغش لا يبني شخصية قوية ، وأنه يزرع أخلاقا ذميمة في النفس...آنذاك يمكن للمتعلم أن يفكر في الإقلاع عن الآفة، ومن طبائع الأشياء فإن هذا التحسيس الذي يدخل ضمن الوعظ والإرشاد لن ينتفع منه المتعلمون كلهم، بل لن تلقي فئة عريضة بالا لهذا الوعظ، لكن مع ذلك ينبغي توعية المتعلمين بأخطار الغش في كل مناسبة، وهذه التوعية هي توطئة ضرورية للانتقال إلى أسلوب الزجر، إذا لم ينفع الوعظ.

عدم التسامح في الحراسة وفي معاقبة الغشاش.

يبدو أن علاج مرض الغش، لا يمكن أن يتحقق إلاّ عن طريق المدرس، ولا شك أنّ أول خطوة ينبغي القيام بها هي أن يتأمل المدرس خطورة الغش، على المدى القريب والبعيد، فهناك من المدرسين من يحسب الغش أمرا هيّنا، وأن التساهل في الحراسة خدمة جليلة للمتعلمين، وأنّ الغش لا يلجأ إليه إلا المتعثرون ، وأنه ليس طريقا صحيحا للوصول...لذلك يعتبرون الغش أمرا هينا، فيستسهلون أمره، ومن ثم يتسامحون في الحراسة.

إن أنجع علاج للغش هو حراسة المتعلمين، ومنعهم من الغش، وزجر الغشاش بمنح صفر، في الفرض، وتحرير تقرير الغش في الامتحان، لكن ليس من السهل أن يقوم جميع المدرسين بهذا، نظرا للتعاطف الزائد، أو للخوف من المتعلمين، خاصة في التعليم الثانوي التأهيلي، لذا لا بدّ من أن نهيئ أنفسنا للقيام بما يلزم في حالة الغش، دون تعاطف ولا خوف. ولا ينبغي ألاّ نلوم إلا أنفسنا فيما قد يصدر من المتعلم من ردود فعل غير حميدة، لأننا نحن من عوّدناه على الغش، حتى صار طبعا وخلقا فيه، لذلك إذا أردنا أن نعيد الاعتبار لأنفسنا وللمدرسة العمومية، ينبغي ألاّ نتاسهل في محاربة الغش.

منح نقطة تعكس حقيقة مستوى المتعلم.

شاعت بين المدرسين فكرة حول التنقيط. وهي أن تشكل نقط المتعلمين هرما

قاعدته عريضة وقمته ضيقة حادة. بمعنى يجب أن تكون النقط المتوسطة أكثر ثم تليها نقط لا بأس بها ثم نقط ممتازة. وهذا في نظري خطأ لا يقبله عقل سوي، لسبب بسيط هو أنه تزوير للواقع، فالواقع يقتضي أن تكون النقط هرما، لا أن نكوّن النقط على شكل هرم. والواقع قلما يكون هرما قاعدته عريضة وقمته حادة.

علينا أن نتحلى بالشجاعة كاملة غير منقوصة حينما نمنح النقطة، ليس من التربية أن نكذب على المتعلمين وأن نزور واقعهم. علينا أن نقوم بأداء الدرس كما يجب، ثم بعده علينا أن نقيّم المتعلمين فيما أدينا بشجاعة وجرأة وعدل وإنصاف، ومن العدل كما قلت أن نمنع حالات الغش وأن نشدّد العقوبة على الغشاشين، فلا مانع عندي أن أمنح نقطة الصفر لمتعلم ضبطته في حالة غش، ولا مانع عندي من أمنح نقطة الصفر لمتعلمين أجوبتهم نسخ طبق الأصل، وهذا ليس معناه أننا نرهب المتعلم أو لا نحب أن يحصل على نقطة مشرّفة، بل لإننا نحب أن نبث في نفسه الثقة، وأن نعوّده على تحمل المسؤولية، وأن نكرّه إليه الخداع والكذب، كما نحب أن نشيع العدل بين المتعلمين وأن نزرع الطمأنينة في نفوس المجتهدين. ثقوا أيها المربون أن تشديد المراقبة والغلظة في العقوبة(صفر) مرة واحدة في أول فرض، ستقتل فكرة الغش عند كثير من المتعلمين.

كي يكون الفرض ذا قيمة في العدل بين المتعلمين وكشف حقيقة فهمهم واهتمامهم، لا بد من إعطاء الفرض أهمية قصوى، بدءا بالإعداد مرورا بالإنجاز وانتهاء بالتصحيح. فالفرض كما هو معروف يجب أن تكون أسئلته متنوعة من حيث ما تتطلبه من حفظ وفهم وذكاء، كما يجب أن تكون مرتبطة بالدروس المقررة، ومنسجمة مع الأطر المرجعية الجاري بها العمل في كلّ مادة، وأن يكون المطلوب محددا ويحسن أن تكون مرفوقة بسلم التنقيط ضمانا للشفافية والنزاهة.

واتقاءً للغش من الواجب ألا نعتاد على تكرار الأسئلة نفسها كل سنة، ذلك أنّ التواصل بين المتعلمين في المؤسسة قائم، ولا يخفى ما للتصحيح من أهمية في تحقيق العدل وكشف حقيقة مستوى المتعلم، لذا لا مناص من تصحيح الفروض في أوقاتها العادية وإرجاعها للمتعلمين قصد الاطلاع على نقط ضعفهم، إننا نغشّ المتعلمين حينما لا نصحح بدقة أوراقهم، ولا يمكن لأحد ألا يكذّب وَهْمَ من يزعم أنه قادر على تقييم مستوى متعلميه دون تصحيح الفرض، أو دون إنجازه، إنّ عدم المشاركة أحيانا لا تعني عدم الفهم أو ضعف المستوى، فقد لا نسمع كلام متعلم إطلاقا لكنه في الفرض الكتابي يلزمنا على تغيير نظرتنا وتصورنا لمستواه. وواضح أنّ الفرض الذي لا يُرْجَعُ للمتعلمين

للاطلاع عليه لا يؤدي وظيفته، فلا المتعثر يعرف موطن تعثره، ولا المتفوق يفرح بثمرة اجتهاده.

نعم من حق المدير أن يغضب وكذلك النيابة من حقها أن تغضب وكذلك الآباء حينما تهبط نسبة الناجحين، لكن اتقاء الغضب بتزوير المستوى عن طريق «نفخ نقط المراقبة المستمرة»[31]، والغش في الامتحان ليس حلا وليس شجاعة، وإذا كانت نسبة النجاح في أي مستوى تعليمي تُحدد حسب البنية والخرائط، فلا يجب أن نتمادى في النفاق، لا يهمنا - نحن المدرسين- عدد الناجحين، فإذا كانت بنية المؤسسة تتطلب عددا محددا من الأقسام في مستويات محددة، فلينجح من شاء، لكن ينجح وسمة مستواه على وجه ورقة التنقيط، فلا يهمنا في هذا الوضع، أن ينجح المتعلم بمعدل ثلاثة على عشرة أو حتى اثنين، فحينما ينجح المتعلم بما يعبر عن مستواه الحقيقي لا نزور الواقع ، وهنا سيبدأ التفكير الجدي في الحل الصحيح. كما أنه ليس من النصح والصدق أن ننبطح لمستوى المتعلمين فنسهّل أسئلة الفرض والامتحان رفعا للنقط، إذ لا يعقل أن أطرح أسئلة الابتدائي في مستوى إعدادي، ولا أسئلة الإعدادي في الثانوي، أ أدرس المعادلات ثم أطرح أسئلة الجمع والضرب والقسمة؟ علينا أيها المدرسون ألا نطرح أسئلة تجارية تلفازية غبية.

نحن في حاجة ماسة إلى قليل من الجرأة والصدق، ليس من المعقول أن نتهافت على كسب ودّ المتعلمين والإدارة والآباء والناس عامة، بالسخاء والجود والكرم في الفروض والامتحانات. كن صادقا جريئا في التعبير عن الحقيقة وإنصاف المتعلمين، وبعدُ فليقل من شاء ما شاء ولينعتني من شاء بما شاء. نَعَمْ الناس أكثرهم من حولك لن تروقهم الحقيقة ولن يرضوا عنك إذا كُنْتَ ممن لا يتغاضى عن الغش في الفرض والامتحان، فالمتعلمون يحبون أن يكون المدرس سَخِيّا متهاونا في الحراسة، سواء في الفرض أم الامتحان، وما أحسنَ من يساعدهم يوم الامتحان! والعكس صحيح، فنحن نرى التشاؤم والتذمر يبدو على وجوه المتعلمين وهم يرون مدرسا معروفا بعدم تهاونه في منع الغش يدخل القاعة لحراسة مادة من المواد، إلى درجة أن المتعلمين يطالبون في بعض الأحيان الإدارة ألا يحرسهم هذا المدرس أو ذاك إلا مرة واحدة إحقاقا للعدالة وتكافؤ الفرص بينهم وبين زملائهم في قاعات أخرى!

إننا في حاجة إلى تطبيق القانون بحذافيره في ما يخص الغش، على الجهات المسؤولة أن تحرص على هذا الأمر أشد الحرص اليوم أكثر من أي وقت مضى. عليها أن تعاقب كل متهاون في الحراسة، كما عليها أن تعاقب كل غشاش من المتعلمين. لا

بد من إصدار مذكرات تحذر من التهاون في الحراسة، ولابد من» تحيين المذكرات التي تحارب ظاهرة الغش وتحدد الإجراءات العقابية في حق المخالفين»[14] ولا بد من تفعيل دور المراقبين الأجانب وحثهم على ضبط المتهاونين في الحراسة.

الهوامش

1 - البيان. عدد:16. فبراير 1989م (الافتتاحية: إلى أين يتجه التعليم).

2 - الرتبة الحادية عشرة ضمن أربع عشرة دولة تنتمي لشمال إفريقيا والشرق الأوسط.

3 - فشل التعلمات الأساسية. مصطفى بنّان. مجلة الفرقان.ع.61-ص.15. 1429/2008.

4 - للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري. المجلد السادس، دار صادر. بيروت. ص. 323.

5 - « القاموس المحيط. الجزء1. ص:774.

6 - تحدث يوسف عياشي عن تقنيات الغش، وذكر منها تقنية «الحروز»- تقنية التصوير المجهري- تقنية الكتابة الشبح- تقنية الترميز- تقنية براي (كتاب قضايا في التربية والتكوين بالمغرب. ص.49-50-51.

7 - قضايا في التربية والتكوين بالمغرب. ص.49-48.

8 - هذا مثل عربي رقم 1037» حبلَكِ على غاربك». مجمع الأمثال. لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني. ت. محمد محيي الدين عبد الحميد.ج.1. 1955. ص. 196. ويضرب المثل في ترك الحرية المطلقة.

9 - مجلة الفرقان. ع.61. ص.16.

10 - نتائج استمارة وزعت على مدرسين ومدرسات في التعليم الإعدادي والثانوي، بإقليم الدريوش.

11 - استمارة وزعت على متعلمين (أدبيين وعلميين) في إحدى الثانويات التأهيلية بنيابة الدريوش. من إنجاز احميدة العوني.

12 - تربية الأولاد في الإسلام. عبد الله ناصح علوان. ص139.ط.34.

13 - مجلة الفرقان. ع.61.ص.

14 - يوسف عياشي. قضايا في التربية والتعليم. ص.55.ط.1. 2008. 16